مواقف من حياة الرسول ﷺ

عبقرية الرسول السياسية والحربية 3 ـ 3

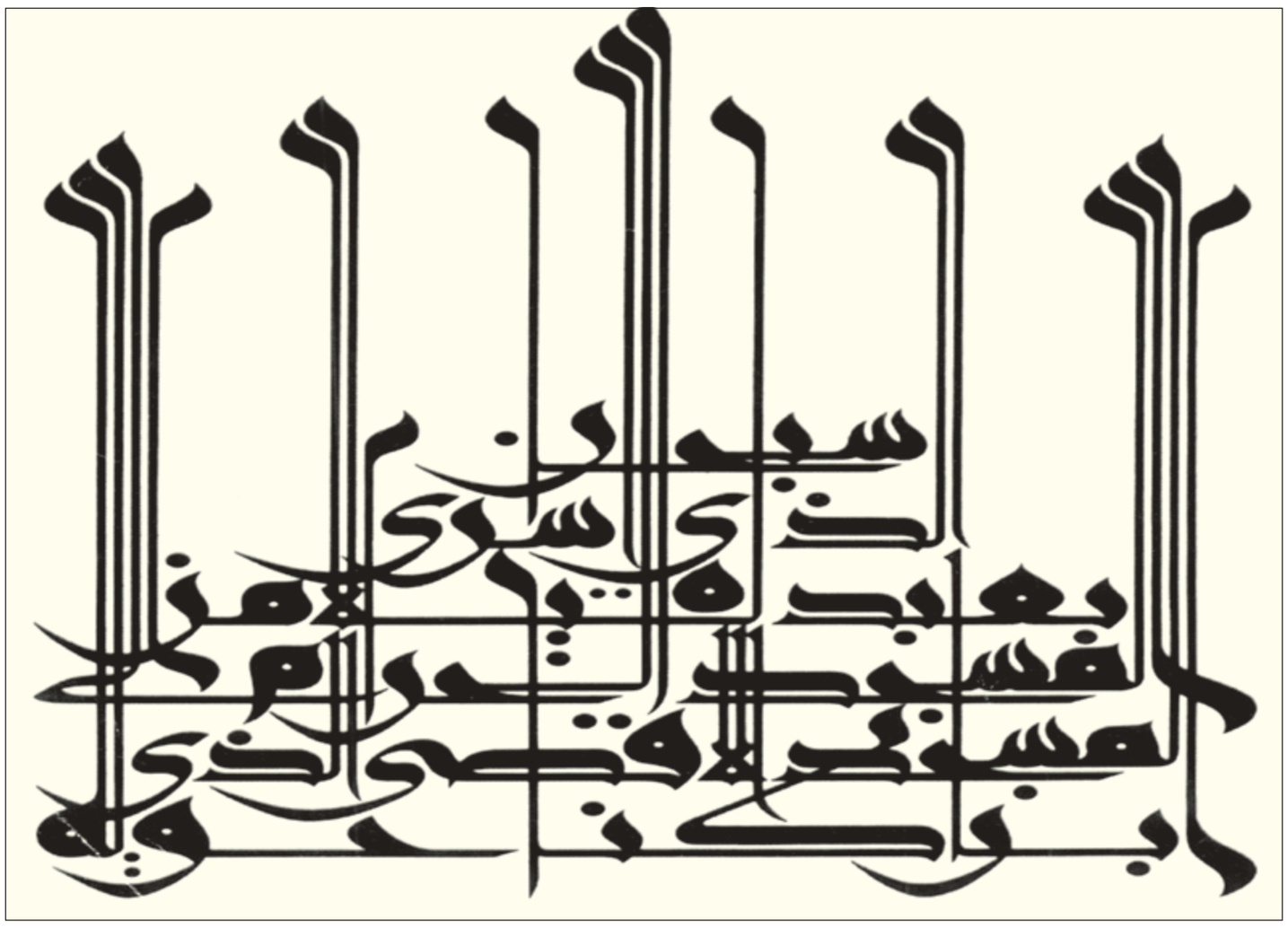

مع اليهود

وانتظر الرسول ﷺ حتى صلح الحديبية، وأمن شر قريش، فاتجه إلى تصفية قضية اليهود الباقين حول المدينة فأنهى علائقه مع يهود فدك، بحقن دمائهم ومغادرة ديارهم، وترك أموالهم، ثم انتهى من يهود وادي القرى ويهود خيبر، فتغلب عليهم، وفرض عليهم الجزية، وجردهم من قوتهم الحربية.. وبذلك انتهى من معركة اليهود، دون أن يخوض معهم جميعا معركة واحدة، ودون أن يحاربهم وقريشا في وقت واحد.

وهذه إحدى العبر في تاريخ الرسول السياسي والعسكري، دلنا على براعته وتوفيقه في الوصول إلى النصر، دون أن يثير قوى الأعداء عليه جميعا ما دام يستطيع أن يفرق بينهم ـ كما في غزوة الخندق ـ أو أن يضربهم الواحد بعد الآخر كما حصل في تصفية قضية اليهود في جزيرة العرب.

في صلح الحديبية

وأمامنا مثل آخر يدل على مرونة الرسول ﷺ وبراعته وتفصيله المصلحة البعيدة المدى على المصلحة المؤقتة التي يمكن أن تكسب بالعاطفة، ولكنها تفوت كثيرا من المكاسب السياسية. ففي صلح الحديبية كان الرسول ﷺ لا يريد القتال بل يريد الطواف في الكعبة، فلما أصرت قريش على المنع صمم الرسول ﷺ على قتالهم، ووجد من المسلمين كل استعداد للفداء، وبايعه المسلمون بيعة الموت المشهورة ببيعة الرضوان، حتى إذا أبدت قريش رغبتها في الصلح على الشروط المعروفة، وهي شروط لم يرضها المسلمون أول الأمر، بل رأوا فيها ضعفا وذلة، ولكن القائد الرسول الذي يمتد بصره الى ما لا يمتد إليه بصر جنوده المؤمنين، أصر على قبول الشروط، فلم يجد المسلمون بدا من القبول، وتبين فيما بعد أن هذه الشروط كانت سببا من اسباب تعجيل النهاية المرتقبة للوثنية في جزيرة العرب، وأن صلح الحديبية كان الخطوة الأولى لفتح مكة واستسلام الوثنية العربية استسلاما لا قيام لها من بعده أبدا.

هنا يجب أن يذكر الدعاة أن على القائد، ان يجنب الدعوة المتاعب الكثيرة بأقل التضحيات، وأن يخضع للظروف مع حسن الاستعداد والاستفادة، كما فعل رسول الله حين رأى إصرار قريش على ألا يدخل الرسول ذلك العام مكة أبدا، فرجع عنها هو وصحبه بعد ان أوشكوا على وصولها، وكان قادرا على أن يدخلها عنوة واقتدار، ولكن المعركة يومئذ ستكلف المسلمين كثيرا من التضحيات، وما كسبه الإسلام من صلح الحديبية، كان أعظم سياسيا ودينيا وعسكريا مما كان يكسبه لو دخل المسلمون آنئذ مكة عنوة، وما هو إلا انتظار سنتين بعد ذلك حتى دخل الرسول مكة فاتحا، وقد استسلمت قريش، ثم دخلت في دين الله أفواجا.

إن على القائد ألا يضيق ذرعا بحماسة جنوده، كما تحمل الرسول ﷺ شدة عمر ومعارضته يوم صلح الحديبية، وعلى الجنود ألا يشقوا عصا الطاعة حين يحزم القائد أمره.

هذا درس كبير من دروس السيرة النبوية، ما أحرانا اليوم ان نذكره قادة وجنودا، والدعوة تمر في اخطر مراحلها والشبه كبير بين ظروفها الحاضرة وظروفها يوم صلح الحديبية، وصلى الله على القائد الأكبر الذي قال عز وجل فيه: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر).

ما مدى مشروعية الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج؟

سؤال يتردد على ألسنة الكثيرين.. يجيب عنه سماحة الشيخ ابن باز رحمة الله عليه.

● الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه. أما بعد:

لا ريب أن الإسراء والمعراج من آيات الله العظيمة الدالة على صدق رسوله محمد ﷺ، وعلى عظم منزلته عند الله عز وجل، كما أنها من الدلائل على قدرة الله الباهرة، وعلى علوه سبحانه وتعالى على جميع خلقه، قال الله سبحانه وتعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير).

وتواتر عن رسول الله ﷺ أنه عرج به إلى السماء، وفتحت له أبوابها حتى جاوز السماء السابعة، فكلمه ربه سبحانه بما أراد، وفرض عليه الصلوات الخمس، وكان الله سبحانه فرضها أولا خمسين صلاة، فلم يزل نبينا محمد ﷺ يراجعه ويسأله التخفيف، حتى جعلها خمسا، فهي خمس في الفرض، وخمسون في الأجر، لأن الحسنة بعشر أمثالها، فلله الحمد والشكر على جميع نعمه.

وهذه الليلة التي حصلت فيها معجزة الإسراء والمعراج، لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها لا في رجب ولا غيره، وكل ما ورد في تعيينها غير ثابت عن النبي ﷺ عند أهل العلم بالحديث، ولله الحكمة البالغة في إنساء الناس لها، ولو ثبت تعيينها لم يجز للمسلمين أن يخصوها بشيء من العبادات، ولم يجز لهم أن يحتفلوا بها، لأن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم لم يحتفلوا بها، ولم يخصوها بشيء ولو كان الاحتفال بها أمرا مشروعا لبينه الرسول ﷺ للأمة، إما بالقول وإما بالفعل، ولو وقع شيء من ذلك لعرف واشتهر، ولنقله الصحابة رضي الله عنهم إلينا، فقد نقلوا عن نبيهم ﷺ كل شيء تحتاجه الأمة، ولم يفرطوا في شيء من الدين، بل هم السابقون إلى كل خير، فلو كان الاحتفال بهذه الليلة مشروعا لكانوا أسبق الناس إليه، والنبي ﷺ هو أنصح الناس للناس، وقد بلغ الرسالة غاية البلاغ، وأدى الأمانة فلو كان تعظيم هذه الليلة والاحتفال بها من دين الله لما يغفله النبي ﷺ أو كتمه، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أن الاحتفال بها وتعظيمها ليسا من الإسلام في شيء وقد أكمل الله لهذه الأمة دينها، وأتم عليها النعمة، وأنكر على من شرع في الدين ما لم يأذن به الله، قال سبحانه وتعالى في كتابه المبين من سورة المائدة: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) ، وقال عز وجل في سورة الشورى: (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم).

وثبت عن رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة: التحذير من البدع، والتصريح بأنها ضلالة، تنبيها للأمة على عظم خطرها، وتنفيرا لهم من اقترافها، ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»، وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته يوم الجمعة: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة» زاد النسائي بسند جيد: «وكل ضلالة في النار»، وفي السنن عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وقد ثبت عن أصحاب رسول الله ﷺ، وعن السلف الصالح بعدهم، التحذير من البدع والترهيب منها، وما ذاك إلا لأنها زيادة في الدين، وشرع لم يأذن به الله، وتشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى في زيادتهم في دينهم، وابتداعهم فيه ما لم يأذن به الله، ولأن لازمها التنقص للدين الإسلامي، واتهامه بعدم الكمال، ومعلوم ما في هذا من الفساد العظيم، والمنكر الشنيع، والمصادمة لقول الله عز وجل: (اليوم أكملت لكم دينكم) والمخالفة الصريحة لأحاديث الرسول ﷺ المحذرة من البدع والمنفرة منها.

وأرجو أن يكون فيما ذكرناه من الأدلة كفاية ومقنع لطالب الحق في إنكار هذه البدعة: أعني بدعة الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، والتحذير منها، وأنها ليست من دين الإسلام في شيء.

ولما أوجب الله من النصح للمسلمين، وبيان ما شرع الله لهم من الدين، وتحريم كتمان العلم، رأيت تنبيه إخواني المسلمين على هذه البدعة، التي قد فشت في كثير من الأمصار، حتى ظنها بعض الناس من الدين، والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين جميعا، ويمنحهم الفقه في الدين، ويوفقنا وإياهم للتمسك بالحق والثبات عليه، وترك ما خالفه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.

أحباب الله

طيار

موسى العنزي

موسى العنزي حصل على شهادة التقدير لتميزه الدراسي، يقول: اعتز جدا وسعيد بحصولي على شهادة التفوق والتميز في المدرسة، واتمنى ان اصبح طيارا في المستقبل واطوف بلاد العالم كلها واتفكر في معجزات الله تعالى، واهدي تفوقي لابي وامي وجدتي الحبيبة التي تشجعني دائما على التميز.

خطيب

فواز الخراز

فواز الخراز يقول: ابي حفظه الله علمني فن الخطابة وكان مثابرا معي حتى تفوقت، والخطابة فن جميل يعتمد على اخراج الحروف العربية بطريقة سليمة ويزيد من معلومات الخطيب وخاصة حفظ القرآن الكريم يجعله يخاطب الجمهور بكل ثقة ويتناول مواضيع تهم كل مسلم، واشكر ابي على رعايته لي حتى تفوقت.

المسابقات

فاطمة حواس

فاطمة حواس قابلناها في حفل تكريم المتفوقات لحفظ القرآن الكريم في مسابقة الخرافي، قالت: حصولي اليوم على هذا المركز المميز وعلى تكريم د.فايز الخرافي لي اعتبره وساما على صدري، خاصة انني نشأت على حب كتاب الله وتلاوته من ابي وامي واتمنى من الله ان افوز في جميع المسابقات حتى احفظ القرآن كله.

طبيبة

سارة محمد

سارة محمد، طفلة رقيقة حصلت ايضا على المركز الاول في مسابقة حفظ القرآن الكريم لمسابقة الخرافي، تقول: اليوم انا فرحة جدا وسعيدة لأنني ارى الكل يكرمني، واشعر بأنني مميزة لأنني أحفظ كلام الله، كما ان امي احضرت لي هدية قيمة لتفوقي واتمنى المزيد من حفظ الاجزاء الثلاثين كاملة وليس خمسة اجزاء فقط واتمنى ان اصبح طبيبة.

شخصيات في الذاكرة

عمر بن عبدالعزيز
حجة على العباد والحكام والولاة

سئل الحاكم.. الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: «ما كان بدء إنابتك؟ فقال: أردت ضرب غلام لي فقال: اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة».

لا يقبل موعظة ضعيف إلا طاهر النفس، خالص السريرة من الكبر والعجب بالنفس، وعمر بن عبدالعزيز كان من أشراف الناس وأمرائهم، فهو من بيت الخلافة، فعمه عبد الملك بن مروان، غير أن بذور السماحة ملأت نفسه، كلما ارتفع منزلة، علا تواضعا ولينا.

كان خيرا وبرا قبل الإمارة وبعدها، قال أنس بن مالك: «ما صليت وراء إمام أشبه بصلاة رسول الله من هذا الفتى».

كتب الله أن يكون خليفة الأمة، جاءته وهو لها كاره، فخلع نفسه، فتنادى الناس به، فثبت عليها، واستعان بالله على ما يراه مصيبة وقعت عليه.

أجمع العلماء على أنه من أئمة العدل، وأحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، وقد ذكر جماعة من الأئمة أنه إمام مجدد، ينطبق عليه قول رسول الله ﷺ: (إن الله يبعث لهذه الأمة، على رأس كل مائة سنة، من يجدد لها أمر دينها).

هذا الإمام الزاهد، أحيا من السنن ما اندرس، وأعاد المظالم، ولم يحاب أحدا حتى ذوي القربى.

فبدأ بأهله وعياله، فخير زوجته بين: أن تقيم معه، على أنه لا فراغ له إليها، وبين أن تلحق بأهلها. فاختارت المقام معه. وكذا فعل مع جواريه، فأعتق من أعتق منهن، وانصرف عن البواقي، شغلا بما هو فيه من أمور الخلافة.

وليس هذا بواجب، لكنه ألزم نفسه، حتى يفرغ تماما لمصالح الرعية.

تقول زوجته: «دخلت عليه يوما، وهو جالس في مصلاه، واضعا خده على يده، ودموعه تسيل على خديه، فقلت: مالك؟ فقال: «ويحك يا فاطمة! قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت فتفكرت في: الفقير الجائع، والمريض الجائع، والعاري المجهود، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيدة، والمظلوم المقهور، والغريب، والأسير، والشيخ الكبير، وذي العيال الكثير والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد. فعلمت أن ربي عز وجل سيسألني عنهم يوم القيامة، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ، فخشيت ألا يثبت لي حجة عند خصومته، فرحمت نفسي، فبكيت».

قسم ثروات الأمة بالعدل، لم يخص أحدا لمجرد نسبه أو صلته، ولم يعط لرضا أو هوى، فانصرف الشعراء والمنتفعون عن بابه، ومن كان له حق في بيت المال، فما كان من حاجة له أن يأتي باب عمر، فحقوقهم تصل إليهم وهم في بيوتهم في بلادهم. «لقد أغنى الناس عمر».. قالها الساعي على صدقته، وهو يجوب افريقيا يبحث عن فقير.

أعطاهم نصيبهم الذي يغنيهم عن السؤال، وأعطى المنقطعين لتعلم القرآن والفقه، وكتب إلى عماله أن يستعملوا أهل القرآن، وأن يجتنبوا الأشغال عند حضور الصلاة، وأمرهم ألا يحبسوا الناس بالظنة قبل ثبوت البينة، وقال: «خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة، فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله».

كتب إلى بعضهم: «أذكرك طول سهر أهل النار في النار، مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله، فيكون آخر العهد بك، وانقطاع الرجاء منك».

فخلع العامل نفسه وطوى البلاد وقدم على عمر، فقال له: «مالك؟ فقال: خلعت قلبي بكتابك يا أمير المؤمنين، والله لا أعود إلى ولاية أبدا».

إذا خلي في بيته، غلّ نفسه، ولبس المسوح، وقام يصلي يناجي ربه كالعبد الآبق ويقول: «اللهم إن عمر ليس بأهل أن تناله رحمتك، ولكن رحمتك أهل أن تنال عمر».

يكثر أن يقول: «اللهم سلم سلم».

تقول زوجه: «ما رأيت أحدا أكثر صلاة وصياما منه، ولا أحدا أشد فرقا من ربه منه، كان يصلي العشاء، ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه، ثم ينتبه فلايزال يبكي حتى تغلبه عيناه.

قالت: ولقد كان يكون معي في الفراش، فيذكر الشيء من أمر الآخرة، فينتفض كما ينتفض العصفور في الماء، ويجلس يبكي، فاطرح عليه اللحاف رحمة له، وأنا أقول: يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين! فوالله ما رأينا سرورا منذ دخلنا فيها».

وبكى مرة فبكى لبكائه أهل الدار، فلما سري عنه سألوه فقال: «ذكرت منصرف الناس يوم القيامة، فريق في الجنة وفريق في السعير».

كتب مرة إلى أحد إخوانه وكان في طريقه إلى الجهاد: «إن أحق العباد بإجلال الله والخشية منه، من ابتلاه الله بمثل ما ابتلاني به، ولا أحد أشد حسابا ولا أهون على الله إن عصاه مني، فقد ضاق بما أنا فيه ذرعي، وخفت أن تكون منزلتي التي أنا بها ـ الرياسة والحكم ـ هلاكا لي، إلا أن يتداركني الله منه برحمة، وقد بلغني أنك تريد الخروج في سبيل الله، فأحب يا أخي إذا أخذت موقفك أن تدعو الله أن يرزقني الشهادة، فإن حالي شديدة وخطري عظيم، فأسأل الله الذي ابتلاني به، أن يرحمني ويعفو عني».

نشأ ناعم العيش، يؤتى بالقميص الرفيع اللين جدا فيقول: «ما أحسنه، لولا خشونة فيه!». فلما ولي الخلافة صار يلبس الغليظ المرقوع ويقول: «ما أحسنه لولا لينه!».

قال مالك بن دينار: «يقولون مالك زاهد، أي زهد عندي؟، إنما الزاهد عمر بن عبدالعزيز أتته الدنيا فاغرة فاها، فتركها جملة».

قال له رجل: جزاك الله عن الإسلام خيرا، فقال: «بل جزى الله الإسلام عني خيرا».

وقيل له: «لو أتيت المدينة، فإن قضى الله موتا، دفنت في موضع القبر الرابع مع رسول الله، فقال: «والله لأن يعذبني الله بغير النار، أحب إلي من أن يعلم من قلبي أني لذلك أهل».

كان ـ رحمه الله تعالى ـ معدودا في العلماء، وله آراء مذكورة في كتب الفقه والتفسير والحديث، فمن فتاواه أن من سب النبي ﷺ يقتل، وهذا القول نصره ابن تيمية، وألف كتاباً في ذلك عنوانه: «الصارم المسلول على شاتم الرسول».

منع أهل الذمة من إدخال الخمور، ونهى عن النياحة والغناء، وأمر بالتنكيل بمن خالف ذلك. في عهده انتشر العدل، ونعم الناس بالأمن، حتى البهائم نعمت به.